هبة الله بن القاضي أبي الحسن[1]

محمد بن علي بن المهتدي، الخطيب بجامع المنصور، ولد سنة تسع عشرة وأربع مئة، وولي القضاء بعد أبيه، ووقعت فتنة عظيمة بين السنة وأهل الكَرْخ على المذهب، وعجز عنها الشحنة والغلمان، وقُتِلَ من الفريقين عددٌ كبير، فركب فرسه ووقف بين الصفين ليردَّهم، فجاءه سهمٌ عائرٌ فوقع فيه فمات، وذلك في يوم الجمعة تاسع عشر صفر، فحُمِلَ إلى القبة الخضراء عند جامع المنصور، فدُفِنَ عند أبيه، وكان سيداً، صالحاً، ثقةً.

السنة الثمانون وأربع مئة

فيها بعث تُتُش أخو السلطان إليه رسولاً يقول: قد استولى المصريون على الساحل، وضايقوا دمشق، وأسأل السلطان أن يأمر آق سنقر وبُزان أن يُنجداني، فكتب السلطان إليهما بأن يُنجداه، وكان بُزان بالرُّها، وآق سنقر بحلب، وكانت تقرَّرت ولاية حلب له من قِبَلِ ملك شاه، وأحسن السيرة فيها، وبسط العدل، وحمى السابلة، وأقام الهيبة، وأنصف الرعية، وأباد المفسدين، وأبعد أهل الشر، فتواترت القوافل، ودرَّ الارتفاع أضعافَ ما كان.

وفيها رفع السلطان المكوس ببغداد، وكُتبت ألواحٌ، وأُلصقت على الجوامع، وفيها اسم الخليفة والسلطان.

وفي المُحرَّم بعث الخليفةُ ظفر الخادم يستدعي السلطان إلى دار الخلافة، وبعث معه بالطيار، فقام السلطان من دار المملكة، وقبَّل الأرض، ونزل في الطيار، وجاء إلى باب العَزْبة، وقد هُيِّئ فرسٌ من خيل الخليفة، وسَرْجُه حديدٌ صيني، ولُبده أسود، فركبه ونزل عند باب صحن السُّلَّم، ومشى إلى الخليفة، وقبَّل الأرض مراراً، ونظام الملك قائم مشدود الوسط بين يدي الخليفة يقول للأمير بالفارسية: هذا أمير المؤمنين، ويقول للخليفة: هذا العبد الخادم فلان بن فلان، وله من العساكر كذا وكذا، والأمير

(١) المنتظم ١٦/ ٢٦٥-٢٦٦.

يُقبِّل[1] الأرض، وكانوا أربعين أميراً، والسلطان جالس على كرسيٍّ بين يدي الخليفة، وجاء أمير يقال له: آيْتِكين خال السلطان، فاستقبل القبلة، وصلَّى بإزاء الخليفة ركعتين، واستلم بيديه الحيطان، وأمر الخليفةُ بإفاضة الخِلَع على السلطان، فقام إلى المكان الذي فيه الخِلَع، فخلع عليه، ورجع وقد أثقله التاج والطوقُ والسِّواران، وقلَّده سيفين، وكُمُشْتِكينَ الجندار يرفع ذيله عن يمينه، والكوهراني يرفعه عن شماله، وجاء إلى بين يدي السُّدَّة وبينه وبين الخليفة الشباك، فقبَّلَ الأرض دفعات، وسأل الخليفةَ أن يُقبِّلَ يدَه فلم يفعل، وأعطاه خاتمه، فقبَّله ووضعه على عينيه، وقال له أبو شجاع الوزير: ياجلال الدولة، هذا سيدنا ومولانا أمير المؤمنين، الذي اصطفاه الله بعزِّ الإمامة، واسترعاه الأمة، فقد أوقع الوديعة عندك موقعها، وقلَّدك سيفين لتكون قوياً على أعدائك وأعداء الله تعالى، وخرج وبين يديه ثلاثةُ ألوية، ونثرت الدراهم والدنانير، وقُرئ صدرٌ من عهده، وقُرئ الباقي في داره من الغد، وجلس للهناء، وبعث الخليفة بالأموال والهدايا.

وفيه دخل نظامُ الملك مدرسته ولم يكن رآها، فجلس بها، وأملى الحديث، وسمع عليه، وسأل عن العلماء ببغداد، فلم يبقَ مَنْ يُشار إليه، وفرَّق الخِلَع والمال في الفقهاء وأحسن إليهم.

وفي مستهلِّ صفر زُفَّت ابنةُ السلطان إلى الخليفة، وأمر بضرب القباب وتزيين البلد من الجانبين، ونُقل الجهازُ على مئة وثلاثين جملاً، وبين يديه العساكر والخدم، ونثر الناس عليه الدراهم والدنانير، فلمَّا كان من الغد نُقِل شيءٌ آخر على أربعة وسبعين بغلاً، وكانت الخزانة اثني عشر صندوقاً من فضة، وبين يديها ثلاثون فرساً جنائب، ونُقلت خاتون في الليل في محَفَّة مُرصَّعة بالجواهر، وقد أحاط بها مئتا جارية من خواصِّها وبين يديها نظام الملك وأبو سعد المستوفي والأمراء، وبِيَد كلٍّ واحد منهم شمعة، فدخلت دار الخليفة.

---

(١) في (ب): والأمراء يقبِّلون.

وفي رواية: نُقِلَ جهازُها في ثلاثة أيام[١] على الجمال والبغال أثواب الديباج، وفي أعناقها أرسان الحرير وقلائد الذهب، والصناديق مملوءة ذهباً وفضةً وجواهر.

وجاءت والدة الخليفة وعمته إلى دار المملكة في الليل، وضربوا السرادق من دجلة إلى الدار، فنزلت خاتون وقبَّلت الأرض بين أيديهما، وسلمت إليهما ابنتَها، وأصبح الخليفة، فعمل لأصحاب السلطان سِماطاً لم يُعمَلْ مثلُه، استعمل فيه أربعون ألف منّ من السكر، وخلع على خواص أصحاب السلطان، وكان السلطان قد خرج ليلة الزفاف إلى الصيد فأقام ثلاثاً.

وفي صفر خرج السلطان ومعه نظام الملك نحو أصبهان، وخرج الوزير أبو شجاع معه مُودِّعاً إلى النهروان، وعاد.

وفيه وُلِدَ للسلطان ولدٌ سمَّاه محموداً، وولي الأمر بعد أبيه، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

وفي شعبان وردت كتب السلطان إلى الخليفة يسأله أن يخطب لابنه الأمير أحمد بن ملك شاه من بعد ذكر أبيه، وكان السلطان قد جعله وليَّ عهده، ومشى في ركابه، فتقدَّم الخليفةُ إلى خطباء المنابر بذلك، ونُثِرت الدنانير على الخطباء.

وفيه زُلزلت هَمَذان وأعمالُها زلزلةً عظيمةً دامت سبعة أيام، فهلك تحت الردم خلقٌ كثير، وهرب الناس إلى البرية.

وفي ذي القعدة ولِدَ للخليفة من بنت السلطان ولدٌ أسماه جعفراً، وكنَّاه أبا الفضل، وجلس الوزير للهناء بباب الفردوس، ونُصِبت القباب، وزُيِّنت بغداد من الجانبين، ونُثِرت الدنانير والدراهم.

وفيها بنى تاج الملك أبو الغنائم المدرسة التاجية بباب أَبْرز، وضاهى بها النظامية، ووقفها على الحنفية، وقيل: على الشافعية، ودرَّس بها [في][٢] أول السنة الآتية أبو بكر الشاشي[٣].

---

(١) في (خ): أعوام، والمثبت من (ب).

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) تنظر هذه الأخبار بنحوها في المنتظم ١٦/ ٢٦٧-٢٧١.

وفيها توفِّي

شافع بن صالح بن حاتم[١]

أبو محمد، الحنبلي، الفقيه، تفقَّه على القاضي أبي يعلى، وتُوفِّي في صفر، ودُفِنَ بباب حرب، وكان صالحاً زاهداً فاضلاً ثقة.

فاطمة بنت علي المؤدِّب[٢]

الكاتبة، برعت في الكتابة على طريقة ابن البواب، وكتب الأعيان على خطِّها، وأمرها الخليفةُ فكتبت كتاب الهدنة بين الديوان وملك الروم، وقالت: كتبتُ لعميد الملك الكُنْدَري ورقةً، فأعطاني ألف دينار.

سمعت الحديث، وتُوفِّيت في المُحرَّم، ودُفِنت بباب أَبْرز، وكانت صالحةً زاهدة.

محمد بن المقتدي[٣]

تُوفِّي بالجُدَري وقد قارب تسع سنين، وحزن أبوه عليه حزناً عظيماً، وجلس الوزير للعزاء في باب الفردوس ثلاثة أيام، ومنع الخليفةُ من ضرب الطبل في أوقات الصلوات، وغُلِّقت الأسواق، وبطلت المعايش، ثم برز توقيعُ الخليفة إلى الناس: إن أمير المؤمنين أول من اقتدى بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ. قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾[البقرة: ١٥٦] ولمَّا مات إبراهيم ولدُ النبي ﷺ، وذكر الحديث.

وقد عزَّى أميرُ المؤمنين نفسه بما عزَّى الله به الأمة بعد نبيِّه ﷺ بقوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾الآية [الأحزاب: ٢١]، فإنا لله وإنا إليه راجعون تسليماً لحكمه، ورضًا بقضائه، فليعلم الحاضرون ذلك، وقد أذن لكم في الانكفاء مشكورين.

---

(١) المنتظم ١٦/ ٢٧١.

(٢) المنتظم ١٦/ ٢٧٢-٢٧٣.

(٣) المنتظم ١٦/ ٢٧٣ باختصار.

محمد [ابن محمد] (١)

ابن زيد بن علي بن موسى بن جعفر [بن علي] بن الحسين بن علي بن الحسين بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين، الحسيني، ذو الكنيتين، أبو الحسن وأبو المعالي، ولد سنة خمس وأربع مئة ببغداد، وبها نشأ وسمع الحديث [الكثير](٢)، وسكن سمرقند، وصنَّف فأجاد.

وكانت له دنيا واسعة، فكان يملك نحو أربعين قرية بنواحي كَشّ، وكان يؤدي زكاة ماله، ويتنفَّل بالصدقة، فيبعث إلى جماعة من الأئمة بألف دينار وخمس مئة إلى كل واحد وعشرة آلاف دينار، ويقول: أنا لا أعرف الفقراء، ففرِّقوها أنتم عليهم.

وكان يرجع إلى عقل كامل، وفضل وافر، ودين متين.

ولمَّا اشتهرت عنه هذه الفضائل حسده قاضي سمرقند وما وراء النهر، فقال الخضر ابن إبراهيم ملك ما وراء النهر: إن له بستاناً ليس للملوك مثله. فبعث إليه: أريد أن أُبصرَ بستانك. فقال للرسول: قُلْ له: أنت تشرب الخمر، وهذا عمرتُه من المال الحلال لأجتمع فيه بأهل الزهد والدين. فأعاد الرسول عليه الجواب، وطلبه فاختفى، فأظهر الخضر أنه قد ندم، فظهر الشريف فقبض عليه، واستصفى أمواله وحبسه.

قال بعض وكلائه: فتوصَّلتُ إليه وقلت له: إنه يأخذ مالك بغير اختيارك، فأعطِه ما يريد وتخلَّص. فقال: قد طاب لي الحبس والجوع، وقد كنت أُفكِّر في نفسي منذ مدة وأقول: مَنْ يكون من أهل بيت رسول الله ﷺ لابُدَّ أن يُبتلى في ماله ونفسه، وأنا قد ربيتُ في النعم والدولة، فلعلَّ فيَّ خللاً، فلمَّا وقعت هذه الواقعة فرِحْتُ بها، وعلمتُ أنَّ نسبي صحيحٌ متصلٌ برسول الله ﷺ، فأنا أصبر ولا أفعل شيئاً إلا برضا الله تعالى، فمنعوه الطعام، فمات وأُخرج من القلعة، فأخذه ولدُه فدفنوه، فقبره ظاهر يُزار.

ورآه أبو العباس الطبري وهو في الجنة وبين يديه مائدة موضوعة عليها الطعام، قال: فقلت له: ألا تأكل؟ قال: لا، حتى يجيء ابني المطهر فإنه غداً يجيء، فانتبهت من نومي، فقُتِلَ ابنُه من وقت الظهر من ذلك اليوم.

---

(١) المنتظم ١٦/ ٢٧٣، والزيادة الآتية منه ومن النسخة (ب).

(٢) مابين حاصرتين من (ب) والمنتظم.

محمد بن هلال[١]

ابن المحسن بن إبراهيم الصابئ، أبو الحسن، الملقَّب بغرس النعمة، صاحب التاريخ المسمى بـ«عيون التواريخ»، ذيَّله على تاريخ أبيه، وأبوه ذيَّل على تاريخ [ثابت ابن سنان، وثابت بن سنان ذيَّل على تاريخ][٢] ابن جرير الطبري، فتاريخ الطبري انتهى إلى سنة اثنتين أو ثلاث وثلاث مئة، وتاريخ ثابت إلى سنة ستين وثلاث مئة، وتاريخ هلال إلى سنة ثمان وأربعين وأربع مئة وتاريخ غرس النعمة من سنة ثمان وأربعين وأربع مئة إلى سنة تسع وسبعين وأربع مئة.

وكان غرس النعمة فاضلاً، أديباً، مترسلاً، له صدقةٌ ومعروفٌ، وإحسانٌ كثير، ومروءةٌ ظاهرة، وكانت وفاته في ذي القعدة، ودُفِنَ في داره بشارع عوف غربي، ثم نُقل إلى الكوفة فدُفن بمشهد أمير المؤمنين، وخلَّف سبعين ألف دينار، وكان محترماً عند الخلفاء والوزراء والأكابر، وقد غمزه عبد الله بن المبارك السَّقطي، ضعيف.

أمير المُلثَّمين بمراكش والمغرب[٣]

وكنيته أبو بكر بن عمر من ولد تاشفين، كان مجاهداً في سبيل الله تعالى، يركب في خمس مئة ألف من رجال الديوان والمطاوعة ويخطب للدولة العباسية، وكان مثل واحد من أصحابه يواسيهم بنفسه، وكان يصلي بالناس الصلوات الخمس، ويقيم الحدود، ويلبس الصوف، وينصف المظلوم، ويعدل في الرعية، ويقسم بينهم بالسوية.

خرج في غَزاة، فلقي الفرنج وظهر عليهم، فبينما هو واقف إذ جاءه سهمٌ عائرٌ فذبحه، وبلغ نيِّفاً وستين سنة.

---

(١) المنتظم ١٦/ ٢٧٥-٢٧٦ .

(٢) مابين حاصرتين من (ب) والمنتظم.

(٣) المنتظم ١٦/ ٢٧٦ .